« ومات من أحبني
مات أخي الذي احبني ولم يكن
هناك من احبني سواه »

والشاعرة تصرح بذلك ، لا لانها لم تعرف الحب ، فلقد سمعته من كثيرين ، ولكنها بقيت عطشى ، كأنما كان الذي بلغته سراب ، وهي تأبى الا أن تجد كل ذلك وهما ، لان «الحب عند الاخرين جف وانحصر » .

وبهذا ايضا تقف مواجهة « الباب المغلق » لتحدث الملك ، بعد ان كان « أخا » و«صديقا» و« حبيبا » خاصة في قصائدها الى « ج. هـ » ، مستعطية منه الرحمة ، التي تنقذها من الخوف ، والحب الذي يضيء مصباحها المطفأ في صدرها .

والملك يرمز في قصيدة « أمام الباب المغلق »(١٩) الى الاله، وهي القدرة التي طالما توجهت اليها الشاعرة . ولكنها الان لا تواجهها بالشكوى والاستجداء فحسب ، بل بالغضب ايضا ، ولكنها في النهاية لا تجد الا الخيبة أمام الباب المغلق :

« عبثا ، لارجع صدى لا صوت
عودي . لا شيء هنا غير الوحشة
والصمت وظل الموت » .

(٦)

لدى فدوى طوقان قصيدة قديمة في مجموعتها « وجدتها » تحت عنوان « نداء الارض»(٢٠) تتحدث فيها عن انسان فلسطيني « تمثل أرضا نمتـه وغذته » في طفولته وشيخوخته يواجه الغزو الاجنبي لارضه ، ولاستلابها . وفي المنفى يصر على العودة ، ولكنه يعود تحت جنح الليل ذاهل الخطو :

« الى اين ؟ لم يدر . كان الحنين
نـداء الح به واستبد »

ولكن رائحة الارض تدفعه اليها ، فيهوي عليها ليشم ثراها ويضمخ بها صدره ويسمع همسها « رجعت الي » فيجيبها :

« ــ رجعت اليك وهذي يدي
سأبقى هنا ، سأموت هنا ، هيئي قدري »

فتهيء له قدره ، حيث تبصره عيون العدو ، وترديه قتيلا في طلقتين .

كانت هذه القصيدة اولى هواجس « الفارس ــ الحلم » لدى الشاعرة . ولكنه ذو طابع رومانسي قابل للتلاشي . ولقد كررت هذه الصورة لدى شعراء الجيل السابق ، وفي معظم القصائد الفلسطينية الوطنية قبل حزيران . ولم تتحول ثوريا الا بعـد حزيران ، وبوجه الخصوص على يد شعراء الارض المحتلة انفسهم ولقد نالت الشاعرة نصيبا من ذلك التحول ، ولكنه نصيب يسير اذا ما قورن بنصيب زملائها الاخرين .

في « الليل والفرسان » مجموعتها الاخيرة ، وجميع قصائدها كتبت بعد حزيران ١٩٦٧، تظل معظم القصائد خاضعة لارث الشاعرة القديم . فالندب والشكوى والبكاء لها نسبة وافرة ، ولكنها الان بسمة وطنيـة ، ولغرض وطني ، بالرغم مـن جوهرها الرومانسي الحاد ، تقول في قصيدتها « الطاعون »(٢١)، وهو دون شك طاعون الاحتلال :

---

١٩ ــ المصدر السابق ، ص ٥٥ .
٢٠ ــ وجدتهـا ، ص ٨ .
٢١ ــ الليل والفرسان ، ص ١٢ .